ظاهرة التلبثي

وما يتبعها من ظواهر

— ٢ —

لاحمد فهمي أبو الخير

« انتهينا في العدد السابق من التنظف بذكر مثل لظاهرة التلبثي المعروفة بفعل عن بعد ونتابع الحديث هنا مبتدئين بذكر مثل آخر »

ب — الحادث الذي نرويه هنا حادث شهير ذكرته عدة كتب من بينها الكتاب الشهير « سقطات القلم عند حدود عالم آخر » لمؤلفه ديل اوين . وقد ذكره بالتفصيل في الصفحة رقم ٢٤٢ ونقله عنه الدكتور جونسون في كتابه « المسألة الكبرى والبينة على حلها » في الصفحات ٥٨ و٥٩ و٦٠ كما يلي : —

كان [illegible] يعمل وجيه مساعد قبطان في سفينة تجارية تسير ما بين ليفربول ونيو برنزويك . ففي احدى رحلاتها ، وقد كانت تقترب من شواطىء نيو فوندلاند ، كان القبطان وجيه هذا على السطح يجريان بعض الارصاد وقت الظهر ، فلما انتهيا هبطا الى حجرتيهما ليجريا العمليات الحسابية . ووضع هذا المساعد مكتبه أمام حجرته في طرقة مربعة مواجهة لحجرة القبطان ، فاذا جلس الى مكتبه تكشفت لعينيه حجرة القبطان بما فيها . فلما أتم العمليات الحسابية سأل القبطان عن نتائج حسابه ، وكان القبطان قد غادر حجرته الى ظهر السفينة . فلما لم يتلق جواباً التفت ليرى من ظله القبطان جالساً الى مكتبه يكتب على لوحه الاردوازي وأعاد عليه سؤاله . ولكنه لم يتلق جواباً . فسار اليه ، فلما رفع الجالس رأسه دهش روس حيث رأى وجه رجل غريب . ولم يكن روس جباناً ، ولكنه حين رأى نظراته الثابتة لم يبق بكلمة ولم يكن منه إلا أن انطلق يجري صاعداً الى ظهر السفينة في حالة فزع شديد . فسأله القبطان فوراً « ماذا حدث يا روس ؟ ما الأمر ؟ » قال « الأمر يا سيدي ، ان ذلك الرجل الجالس في حجرتك » قال « لا أحد فيها أظن » قال « ولكن هناك رجلاً غريباً يا سيدي » . قال « اهدأ يا روس ، رجل لابد أن تكون رأيت هناك كثيراً [illegible] وكان [illegible]

جالساً فوق كرسيك الواجه للباب منحنياً فوق مكتبك يكتب في لوحك الاردوازي. ولقد رأيته بعيني كما أرى أي رجل آخر »

قال « رأيت من؟ » قال « لست أدري ولا يعلم من هو إلا الله » قال « أسرع الي وسله من هو »

فتلكأ بروس وقال « ما كنت قط أصدق بالأشباح ، ولكن الحق أولى أن يقال . وددت لو أعفيت من الذهاب اليه » . قال « هيا معي ولا تكن رجلاً أخرق »

وهبط القبطان درج السلم ، وتبعهُ مساعده بروس فلما لم يجد أحداً في الحجرة قال القبطان « ألم اقل لك يا بروس إنك كنت تحلم ؟ »

قال « لك يا سيدي أن تقول هذا ، ولكن لا ردني الله سالماً إلى أهلي اذا أنا لم أكن قد رأيت هذا الرجل فعلاً يكتب على الاردواز أمامي »

فرفع القبطان الاردواز وقال « أرى شيئاً حقيقيًّا هل هذه الكتابة تحطك يامستر بروس ! »

فتناول بروس الاردواز ورأى مكتوباً عليهِ ما يأتي : « اتجه بالسفينة صوب الغرب شمالاً » وقال القبطان « أتمزح معي يا بروس ؟ »

فأنكر بروس مقسماً بشرفه قائلاً « إنما أنا أخبرتك بالصدق ياسيدي »

ففكر القبطان فترة ثم استكتب بروس في النهاية نفس الكلمات ، وبعد المضاهاة استكتب رجال السفينة كلهم فلم يجد خطًّا مماثلاً ، وبعد ذلك أصدر الأمر بتفتيش السفينة تفتيشاً دقيقاً فلم يعثروا على أحد . وأخيراً قال القبطان « إن الريح تساعدنا فلنتجه صوب الغرب ، ولتر ما يكون وكونوا جميعاً متأهبين »

ومضت بعد ذلك ثلاث ساعات ، واذا بعامل المراقبة يعلن ظهور جبل من الجليد وبجواره سفينة محطمة . فلما اقتربوا رأى القبطان السفينة فعلاً محطمة بين الجليد ، ووجد فوقها بضعة نفر وعلم فيما بعد أن السفينة قامت من كوبنكن صدفة ليفربول ، وأنها اصطدمت بالجليد فتحطمت وتهشم سطحها وضاعت مؤونتها . وكان في احد القوارب رجل من رجالها ما كاد بروس يلمح وجهه حتى وجم . لقد رأى هذا الوجه وهذا القد بل حتى هذه الملابس ثم رأى نفس الرجل الذي سبق أن شاهده يكتب فوق مكتب القبطان في السفينة قبل ذلك بساعات

وعندما انتهوا من نقل البحارة والمسافرين من السفينة الغارقة الى الأخرى حتى انتحى بروس بالقبطان جانباً وقال له « يخيل لي يا سيدي انني لم أر اليوم شبحاً بل رأيت رجلاً حيًّا »

قال « عد الي ، ومن هو ذلك الرجل الحي »

قال « ان أحد المسافرين الذين انقذناهم هو نفس الرجل الذي رأيته يكتب فوق مكتبك في لوحك الاردوازي » وحيا بالرجل الى القبطان . وبعد أن استوضحه نفس الشيء عن هذه

الزيارة الخفية قال « أكون شاكراً يا سيدي لو تكرمت فكتبت شيئاً على لوحي الاردوازي » قال « حبًّا وكرامة ، وما الذي أنا كاتبهُ ؟ » قال « اذا لم يكن لديك مانع فاكتب على هذا الجانب من اللوح : اتجه بالسفينة صوب الغرب شمالاً » ثم أدار له اللوح

فأجاب الرجل الطلب على الفور . وفحص القبطان الكتابة بدقة ثم أدار اللوح مظهراً وجهه الآخر دون أن يلحظ المسافر ذلك ، لكي يريه الكتابة الاصلية الأولى ، ثم قال له « هل هذا خطك ؟ »

قال « وهل استطيع انكاراً وقد رأيتني وأنا أكتبه ؟ » قال « وهذا ؟ » ثم أدار اللوح قال الرجل « ما معنى هذا ؟ لقد كتبت احدى هاتين فمن الذي كتب الاخرى ؟ »

قال قبطان السفينة الغارقة « هل رأيت في الحلم أنك تكتب على لوح من الاردواز ؟ »

قال « كلا ولست أذكر » قال قبطان السفينة السليمة يخاطب قبطان السفينة الغارقة « هل تتكرم يا سيدي باخباري بالذي كان يعمله هذا المسافر حوالي ظهر اليوم ؟ »

قال « الذي أذكره ان هذا المسافر كان متعباً مجهداً فغشيه نوم عميق حوالي الظهر ، فلما استيقظ جاءني وأكد لي أننا سنلتقي اليوم . فلما سألته كيف عرف ذلك قال لي انهُ رأى في نومه انهُ فوق سطح سفينة جاءت لانقاذنا . وقد وصف لي مظهر السفينة وصاريها فلما بدت سفينتكم في الأفق وجدتها مطابقة تماماً لتلك التي وصفها »

قال « ان الكتابة على الاردواز هي التي أنقذتكم دون شك . لاننا كنا مبحرين صوب الجنوب الغربي فغيرت الاتجاه الى الشمال » . ثم وجه الحديث الى المسافر قال « ولكنك تقول انك لم تر في منامك انك كتبت على الاردواز »

قال « نعم ولست أذكر أني صنعت هذا ، ولست أدري كيف أدركت أن سفينتكم قادمة لانقاذنا . ولكن الغريب أنهُ يخيل إليَّ أني أعرف تماماً كل شيء على ظهر سفينتكم »

هذه القصة تقدم الينا نقطاً غريبة . فهي تحدثنا عن رجل اجهد فنام فرأى في نومه انه فوق تلك السفينة ولكنه لا يذكر انه كتب شيئاً فوق لوح الاردواز . وعدا ذلك فالرجل وقت حدوث هذه الاحداث كان حيًّا يرزق وفي صحة جيدة . والذي يمكن استخلاصهُ من هذه الحادثة أن روح ذلك الرجل غادرت جسده وقت النوم مع بقائها متصلة به ، واستطاعت أن تتجسد على سطح سفينة فرآها شخص آخر ، كما استطاعت أن تكتب رسالة . وليس هذا مكان شرح حدوث هذه العملية ، ويكفي أن أوجه نظر القراء الى كتابين جديدين هما كتاب « شرح الجسم الروحي » تأليف الدكتور بين السيكولوجيين هدون وكارنجتون ، وكتاب « الحياة الآن وفي الابد » تأليف الدكتور آرثر فورد . وأرى عميد كلية البحوث والعلوم الروحية

بالينويس بالولايات المتحدة بأميركا . ففي هذين الكتابين شرح مستفيض لهذه التجارب . ولا يخفى ان العلم الروحي الحديث يقول ان الموت طرح روحي مستديم ، وان النوم طرح روحي مؤقت . ويقول الله تعالى في كتابه العزيز « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى الى أجلٍ مسمّى »

الحيوان والتلبثي

جاء في « موسوعة العلم الروحي » التي أصدرها العلامة الدكتور ناندور فودور تحت مادة « التلبثي » ما يأتي :—

« يوجد من البينات ما يثبت ان ظاهرة التلبثي ليست وقفاً على الانسان وخير مثل يقدم لاثبات التلبثي من الحيوان الى الانسان هو ذلك المثل الذي بسطه الكاتب القصصي ريدر هجارد في عدد أكتوبر ١٩٠٤ من صحيفة جمعية البحوث النفسية البريطانية . وخلاصته ان زوجته سمعته في ليل ٧ يوليو ١٩٠٤ وهو نائم يتأوّه ويئن بأصوات غير واضحة تشبه أنين حيوان مجروح ، فأيقظته من نومه ، فأخبرها برؤياه التي كانت على جزءين متمايزين . في الاول أحسّ بضيق شديد في التنفس حتى لكأنه يختنق . وفي النصف الثاني فقال « رأيت كلبنا المسكين بوب راقداً على جنبه بين أغصان منثورة بجوار نهر . وخيّل اليّ كأن شخصيتي ترتفع بشكل خفي غامض من جسم الكلب الذي رفع رأسه في زاوية غير طبيعية ليقابل وجهي . وكأن بوب كان يحاول ان يكلمني ، فلما لم يستطع افهامي ما يريده بالصوت نقل الى عقلي بوسيلة غير مفهومة انهُ يحتضر » . والذي حدث بعد تلك الرؤيا ان بوباً قد وجد بعد ذلك بأربعة أيام ميتاً . طفت جثته على ماء النهر ، وقد تهشمت جمجمته وتكسرت أرجلهُ دهمه قطار فوق جسر ورمى به في الماء . وقد وجد طوفه مفرحاً بالدم فوق الجسر صبيحاً بعد ذلك الحلم . ويعطينا وليم ج لونج في كتابه « كيف يتكلم الحيوان » أمثلة كثيرة تثبت وجود خاصية التلبثي بين الحيوان فهو قد لاحظ مثلاً انه اذا لم تستطع دئبة ان تنبه حروداً ألاّ يمضي في جريه بعيداً عنها وان يعود اليها فانها تقف ساكنة ثم ترفع رأسها الى أعلى وتحدق باستمرار صوب حروها المسرع في جريه . واذا به يقلل خطوة من سرعته ، ثم يستدير اليها ويعود من حيث أتى . وذكر العلامة ادمند سيلوس في كتابه « انتقال الفكر لدى الطيور » كثيراً من الملاحظات الغريبة حول الموضوع مأخوذة من حياة الطيور . ويعطينا كذلك قصة خيل البرفلد بينة طيبة على ان من الممكن ان يحدث تلبثي بين الحيوان وعقل الانسان »

وبالرجوع الى ما ذكرته هذه الموسوعة عن تلك الخيل نجدها تقول عنها انها استطاعت فعلاً ان تجري عمليات حسابية تضمنت استخراج الجذر التربيعي ، وكانت تعطي الجواب بالدق بالأرجل . وقد أجريت هذه الاختبارات الحسابية أمام اساتذة من جامعات برلين ودارمستاد وباريس وجنوى وفلورنسا وكولونيا وبروكسل وبولون وفرنكفورت وستوتجارت وبال ومعهد باستور . وذكرت الموسوعة اسماء الاساتذة نذكر منهم الدكتور ادنجر استاذ الامراض العصبية بفرنكفورت ، والاستاذ استوالد بجامعة برلين ، والاستاذ بردكا بمعهد باستور بباريس

التفسيرات المقدمة لظاهرة التلبثي

كيف حاول السيكولوجيون الماديون تفسير ظاهرة التلبثي ؟ يوجد بطبيعة الحال جماعة يحترفون الشك ، وعند مناقشة هؤلاء المرتابين نجدهم يتكلفون مستميتين ضد قبول الحقائق الجديدة . وما كان شكهم هذا الا وسيلة دفاع لحماية كيانهم النظري . فلما اثبتت الحقائق التجريبية صدق النظرية كان لابد من البحث عن تفسير لها . وقد ظن في بادىء الأمر أن المسألة ولو في بعض الحالات ترجع الى الاتساق والمصادفة . ولكن الحساب الدقيق الذي أمكن استخلاصه من جداول الدكتور راين ومعادلاته وخطوطه البيانية قد برهن على امكان استبعاد ذلك . واقترض بعضهم فرضاً جديداً هو ما اصطلحوا على تسميته « زيادة حس الحواس » hyperaesthesia of the senses . وهذه الزيادة في الحس هي التي يستشهدون عليها بما يحدث في بعض حالات الوعي (الشعور) . وضربوا لذلك مثلاً حالة التنويم المغنطيسي حيث تكون الحواس فيها مرهفة فوق العتاد . ولهذا احتجوا على تجارب الاستاذ موراي مثلاً بأنهُ « كان مدركاً بشكل لا شعوري مجهول موجات صوتية جعلته ينجه بتفكيره اتجاهاً خاصًّا على الرغم من ضعف هذه الموجات ضعفاً يجعلها لا تثير الحس بالصوت » أرأيت ؟!!

ولكن زيادة الحس هذه لا يمكن تطبيقها على الاستاذ موراي في تجربته التي ذكرناها ، وذلك لأن الرجل قد تلقى تفصيلات أكثر من التي ذكرت للمجتمعين . ويقول لورد بلفور وقد حضر اجراء بعض هذه التجارب « لقد أدركت من زمن بعيد انه اذا كانت زيادة الحس هذه تصلح أن تكون تفسيراً لأي شيء كان فانها لا تصلح أن تكون تفسيراً للتلبثي » . وكذلك تكون زيادة الحس هذه تفسيراً سخيفاً للتجارب البعيدة المدى ، التي تفصل فيها بين المرسل والمستقبل مسافات شاسعة وحجب وجدران من أمثال تجربة مسز سكلير التي أجريت وكانت المسافة بين المرسل والمستقبل أربعين ميلاً

وحاول آخرون تفسير الظاهرة بالاهتزازات الفيزيقية والاشعة وبعض أنواع الطاقة . وقد استعرض الدكتور نشر في كتابه « التلبثي والجلاء البصري » هذه التفسيرات كلها وخرج منها بأنها فروض لم تثبت فضلاً على كونها غير مقنعة . واكتفى بالتدليل على عدم صحتها بحالة قراءة ما في الورق المطوي الموضوع في مظروف معتم . ونراه يقول « يجب أن نذكر أن الحروف ملفوفة بعضها فوق بعض ، ولا تستطيع الورقة المطوية إلا أن تعطي خليطاً من السطور اذا كانت الرؤية خلال الورق ممكنة . وان هذه التجربة لتثبت بشكل قاطع أن الابصار لا يمكن أن يكون قد تمّ بالعينين . وتدحض هذه التجربة بشدة كل تفسير فيزيقي »

ولمناسبة الحديث بصدد قراءة الأوراق المطوية نرى لزاماً أن نذكر تجربة يصح اعتبارها فذة بين التجارب . ففي سنة ١٩٢٣ أجريت سلسلة من التجارب في المؤتمر الميتافيزيقي الذي انعقد في وارسو في تلك السنة تحت رياسة العلامة الدكتور البارون فون شرنك نوتزنج ، أستاذ البيولوجيا في جامعة ميونخ ، على الوسيط الشهير أوسوفيكي وقد أثبت هذا الوسيط انهُ يستطيع أن يعرف محتويات المظاريف المختومة وقراءة ما يكون فيها من رسائل حتى ولو استعيض عن المظاريف بأنابيب من الرصاص . ولذلك أرسلت جمعية البحوث النفسية البريطانية مع أحد رجالها وهو المستر دنجوال مظروفاً رمادي اللون ، بداخله مظروف آخر أخضر اللون في سواد ، وبداخل هذا مظروف أحمر وضعت فيه ورقة مطوية بيضاء ، بعد أن رسمت فيها زجاجة داخل مستطيل ، وكتبت عليها جملة فرنسية . ولكي يتلافى المجربون كل انتقال فكري ممكن تسلم الوسيط أوسوفيكي هذه الرزمة من يد الدكتور شرنك نوتزنج الذي كان يجهل محتوياتها . فوصف أوسوفيكي محتوياتها كتابة ، وأرسل هذا الوصف المكتوب الى المؤتمر وقرئ عليه . وبعد أن تحقق المستر دنجوال من سلامة المظاريف فتحها في المؤتمر ، ووجدت محتوياته مطابقة بالضبط لما قالهُ أوسوفيكي بما في ذلك الجملة المكتوبة بالفرنسية . فوقف المؤتمرون كلهم وحيوا وسيط الجلاء البصري بالتصفيق الحاد . وهذا الوسيط يضم موسيقا أخرى هي « السيكومتري » أي تقصي الأثر في الفضاء والزمن .

ولنعود الى حديثنا عن ظاهرة التلبثي فنقول ان هذه الظاهرة تحتية الى أبعد حد كل فرض يدعي بقاء الفكر محصوراً داخل حدود المجموع العصبي الفيزيقي . وترى السيكولوجيا الكلاسيكية أن الفكر جزء من الدائرة العصبية التي تبدأ بتنبيه من الأعصاب الداخلة [illegible] وتنتهي بعض نشاط محرّك وان كل تواصل بين شخص وآخر تبعاً لما تقول به نظريه « الدائرة المغلقة » هذه يحدث فقط حينما تنبعث اهتزازات في الجو

المحيط المتداخل الذي يطبع المجموع العصبي للشخص الآخر بطوابع لمسية أو بصرية أو سمعية ولكن التواصل أو التخاطب بالتلبثي يلغي كل عمل للحس العادي ، لأن الفكر ينتقل من عقل الى عقل خلال وسط أو وسيط ما ، له ميزات تختلف في الجوهر عن ميزات المادة الفيزيقية

ويفسر بعضهم ظاهرة التلبثي في بساطة بأنها نوع من اهتزاز كهربائي او مغنطيسي أو كهرطيسي ينبعث من المخ . ولكن علم الفيزيقا لا توجد فيه أقل اشارة تدعونا الى الظن بأن الكهربائية والمغنطيسية هما سبب التلبثي . بل انهُ لا توجد كذلك أية اهتزازات فيزيقية معروفة تستطيع احداث نقل الافكار

وقد جاء بدائرة المعارف البريطانية تحت مادة « البحث الروحي » ما يأتي : « ان أولئك الذين يظنون ان الارسال بالتلبثي نوع من الموجات يصح ان يطلب اليهم ان يكونوا أكثر وضوحاً وتدقيقاً بصدد طبيعة هذه الموجات وطولها وما الى ذلك ، وان يعينوا في جسم الانسان ذلك العضو الذي يستطيع ارسال الموجات الفيزيقية الى الجانب الآخر من الكرة الأرضية . ثم لماذا تبدو التلبثي كأنها لا تخضع لقانون التربيع العكسي العام ؟ هناك في الواقع بينات كثيرة ذاتية وأخرى تجريبية على انها لا تتأثر بالمسافة »

ومن ثمَّ يتضح اننا حتى اذا رأينا ضرورة افتراض نوع ما من الصلة الاهتزازية بين مخ وآخر فاننا بذلك نتخطى حدود جميع خواص المادة والقوة . وقد يقف المادي وحلاً كذلك ، لأن أي تفسير للتلبثي يتضمن « الاهتزازات » يدفعه لا محالة الى الاعتقاد بصدق الحالات التي فوق الفيزيقية لكل من المادة والطاقة . ومع أن العلم يذهب الآن الى وجود مادة في الحالة التي فوق الفيزيقية فان المادي قد يفضل ألاَّ يسلم بها حتى لا يوجد نفسه في مأزق حرج . والواقع أن المادي يقف حائراً أمام ظاهرة التلبثي وما اليها من الظواهر غير العادية . وهو يعلن اعتقاده بأن المادة العصبية والفكر مرتبطان لا ينفصلان ، فكيف اذاً تمر فكرة من عقل الى عقل غير فضاء يفصل بينهما وقد خلا من الأعصاب تماماً ؟ فاذا وجد وسيط يستطيع ان يقود الفكر ويمضي به الى خارج حدود المخ فان هذا الوسيط يكون أساس الوعي البعيد عن مسالك المخ

وقد لا يستسيغ السيكولوجيون الاخذ بالرأي القائل ان الفكر يمر من مخ الى مخ خلال وسط فوق فيزيقي [illegible] ولهذا فانهم يقيدون أنفسهم بالمصطلحات السيكولوجية الكلاسيكية ويقول ان لوعي (الشعور) قد يمتد فعله وتحصيله ان خارج حدود المادة ومهما كانت المصطلحات التي يستعملها فان الامر الاساسي هو أن لوعي يحدث شيئاً يأبى اعتماده على مادة المخ .